


# ينبغي أن يسود

جمع وترتيب

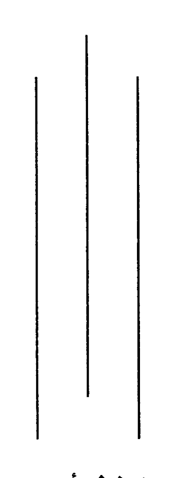
سعيد محمد السوَّاح

الناشر

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية / الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم



دين ينبغي أن يسود

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع ٩١٠٣ / ٢٠٠٢

الناشر

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية / الإسكندرية
٢٤ ش كانوب ـ كامب شيزار ـ ت ٥٩٠١٥٨٠
٤٩ ش القنطرة ـ محطة مصر ـ ت ٣٩١٢٠٥١

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً. ونشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

**★ ثم أما بعد:**

فإن أجيالاً كثيرة في هذه الأمة قد حيل بينها وبين أن

تعرف شيئًا عن إسلامها الذي انطمست أكثر معالمه وانمحت. فهناك هجمة شرسة قادها الغرب ضد الإسلام وأبنائه تمثلت في الحروب الصليبية والغزو الثقافي والقانوني لتدمير القيم الإسلامية وسحق العقيدة الإسلامية وتجريد المسلمين من مصدر قوتهم وهو قيام حياتهم على أساس دينهم وشريعتهم، فمن حين انحسرت الخلافة الإسلامية عن بلاد الإسلام وغاب الحكم الإسلامي عن واقع المسلمين تحركت قوى خارجية وداخلية وعالمية ومحلية تعمل ليلاً ونهاراً من أجل هدف واحد أثيم وغاية دنيئة لئيمة ألا وهي هدم العقيدة الإسلامية من قلوب الجيل المسلم وإخماد جذوه الجهاد في سبيل اللّه في نفوسهم وشعورهم - حتى إذا تحول الجيل بشبابه وشاباته ورجاله ونسائه من الإيمان إلى الشك ومن العمل إلى التواكل ومن الأخلاقية إلى الانحراف أصبحت بلاد الإسلام غرضاً لكل طامع ولقمة سائغة لكل مريد.

وقد تحقق لهم بعض ما أرادوا فالتبس الدين على كثير من أبناء المسلمين وأصبح غامضًا لا يقف كثير من الناس على

تصور واضح للدين والإسلام وانكمش مدلول الدين في تصور جماهير المسلمين حتىٰ أصبح لا يعني إلا شعائر فردية يؤديها الفرد في الصلاة والصيام والحج وجعلوا حقيقة الإسلام التي تعني الخضوع والاستسلام المطلق للَّه رب العالمين لونًا من ألوان التعصب.

والأمة الإسلامية تعيش هذه الأيام أحداثًا متسارعة ومتلاحقة فقد تبدلت أوضاع الحياة وتغيرت تنظيمها علىٰ وجه لم تشهد الإنسانية له مثيلاً من قبل في شموله وسعة دائرته. ولقد اختلطت مناهجها الإسلامية مع غيرها فتشابهت عليها معانيها واضطربت لذلك سبلها.

لذا فإن الأمة الإسلامية دائمًا في حاجة إلىٰ من يحدد ويجدد لها مفاهيمها أو يجدد لها مصطلحاتها كلما هبت رياح الغزو الفكري التي تريد أن تدمر ذاتية الإسلام وكم تحتاج الأمة الإسلامية في حياتها المعاصرة إلىٰ كثير من توضيح المفاهيم التي يراد لها التخليط والاندماج والإلغاء في مفاهيم غريبة علىٰ الإسلام ومجتمعه وثقافته. ولقد حرص الإسلام علىٰ تمييز المسلمين من سائر الأمم بوصفهم

أمة ذات كيان مستقل وفي سبيل هذا الحرص على تميزهم من سائر الأمم نهاهم عن أن يقلّدوا غيرهم في ملبسهم أو عاداتهم فقال ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم»[1] . وقال ﷺ : «ليس منا من تشبه بغيرنا»[2] .

وعمد إلى مخالفتهم في هيئتهم وأمر المسلمين بالحرص على هذه المخالفة تمييزاً لهم عن غيرهم فأمر بقص الشارب وإعفاء اللحى تمييزاً لهم عن المشركين الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم. ونهانا الإسلام عن اتخاذ الأولياء والأصدقاء من أعداء المسلمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

(سورة الممتحنة:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة التوبة:٢٣)

---

(١) رواه أبوداود ـ كتاب اللباس ـ باب في لبس الشهرة.

(٢) رواه الترمذي ـ أبواب الاستئذان ـ باب في كراهية إشارة اليد في السلام.

ولقد دعا الإسلام المسلمين أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم.

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (سورة الفتح: ٢٩).

والإسلام يستهدف في دعوته (كرسالة إلهية خالدة) إصلاح البشرية وحفظ نظام الحياة من خلال الغاية النهائية لرسالة الدين التي تنصب على توحيد الله وتعبيد الناس له وانطلقت الرسالة من مبدأ تحرير الإنسان من عبودية الطواغيت والأهواء وتحقيق العبودية لله وحده وتستهدف الرسالة الإسلامية توثيق الصلة بين الإنسان وخالقه وتعريفه بربه، والإسلام لا يكون إسلامًا حقيقيًا إلا إذا بلغ مرحلة التصديق والاستجابة الكاملة لإرادة الله ومشيئته وهي المرحلة التي شخصتها الآية الكريمة في روايتها لإسلام إبراهيم عليه السلام:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٣١-١٣٢).

فهذا هو الإسلام الحقيقي الذي يقصده القرآن وهو الدرجة العليا من الإيمان والالتزام الذي يعبر عن نضج المؤمن الفكري والنفسي ويصرح عن تجاوبه السلوكي والإرادي وهذا هو الإسلام الذي يحقق للبشرية خيري الدنيا والآخرة.

إن الإسلام الذي تنكر له أكثر الناس وقبل اليوم وناصبوا أهله العداء وحاربوهم بكل ما أوتوا من قوة بشتى الوسائل كان ومازال أسمى مطلب وأشرفه لعقلاء البشر وساداتهم أجمعين، فالإسلام ليس دينًا محليًا أو إقليميًا ولا دينًا عرقيًا جنسيًا يختص به إقليم دون آخر أو شعب دون شعب بل هو دين اللَّه تعالى للبشرية جمعاء أبيضها وأحمرها أولها وآخرها.

فأعاظم الخلق الرسل عليهم السلام ابتداء من نبي اللَّه نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ كان الإسلام المطلب الخاص لهم به أمروا وعليه حيوا وأغلى أمانيهم أن يتوفاهم اللَّه عليه، فالإسلام هو دين اللَّه لا دين له سواه ولقد تكفل اللَّه سبحانه بنصره وتمكينه وإظهاره على

الدين كله، فاللّه سبحانه لم ينزل ديانات مختلفة وإنما أنزل على عباده المرسلين دينًا واحدًا وهو الإسلام. قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩)

ولقد جاء بهذا الدين الواحد جميع رسل اللّه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

**★ جاء به نوح عليه السلام:**

قال اللّه تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة يونس: ٧١-٧٢).

**★ جاء به إبراهيم عليه السلام:**

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(سورة البقرة:١٢٧-١٣٢)

**★ وجاء به يعقوب عليه السلام:**

قال اللَّه تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(سورة البقرة:١٣٣)

**★ وجاء به لوط عليه السلام:**

قال اللَّه تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(سورة الذاريات:٣١-٣٦)

★ **وجاء به يوسف عليه السلام:**

قال اللّه تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٠١).

★ **وجاء به موسى عليه السلام:**

قال اللّه تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (سورة يونس: ٨٤).

★ **وهو دين قوم موسى من بني إسرائيل:**

قال اللّه تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٠)

★ **وهو دين السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام:**

قال اللّه تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا

إلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٠٢-١٢٦).

**★ وهو دين أنبياء بني إسرائيل:**

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٤).

**★ وهو دين سليمان عليه السلام:**

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (سورة النمل:٣٠-٣١).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (سورة النمل:٣٨).

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (سورة النمل:٤٢).

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة النمل:٤٤).

**★ وهو دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وحوارييه:**

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٥٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة المائدة: ١١١).

**★ وهو دين المهتدين من الجن:**

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (سورة الجن: ١٤-١٥).

**★ وهو دين المتمسكين بالحق من أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة القصص: ٥٢-٥٣).

**★ وهو دين النبي الخاتم محمد ﷺ :**

قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

(سورة آل عمران : ١٩-٢٠)

وقال اللَّه سبحانه : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة غافر : ٦٦)

وقال سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة : ٣) .

**★ فالقرآن الكريم يقرر في وضوح كامل أن الإسلام دين أهل السموات والأرض :**

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة آل عمران : ٨٣) .

**★ وإلى هذا الدين وحده وجه النبي ﷺ الخاتم رسله ورسائله إلى الملوك وعظماء الملل وأشهدهم على إسلامه وإسلام من معه:**

قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

(سورة آل عمران: ٦٤)

لذلك نقول نحن نحتاج أن نتعرف على ديننا على إسلامنا وننظر هل هذا الدين يصلح كنظام حكم ومنهج حياة وما إذا كان هذا الدين قد اشتمل على كل نواحي الحياة وهل يصلح أن يسود؟

هذا لا نتعرف عليه إلا إذا تعرفنا على الإسلام وعلى أركانه وركائزه التي يقوم عليها ونتعرف على خصائص هذه الشريعة الإسلامية وكيف أنها صالحة لكل زمان ومكان وكيف تستوعب كل ما يجد من أحوال ونتعرف كذلك على مقاصد الإسلام التي تقوم على تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل وتدفع عنهم المفاسد والأضرار في العاجل

والآجل ونتعرف كذلك على أنظمة الإسلام التي لا تنتظم الحياة إلا بها .

فهذه نبذة مختصرة عن الإسلام تُكَوِّنُ لدى المسلم مفهوم شامل وتصور كامل عن دينه الذي ينتسب إليه .

❑ ❑ ❑

# التعريف بالإسلام

**★ تعريف الإسلام:**

فالإسلام هو كما عرفه النبي ﷺ حيث قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**»[1].

**★ والإسلام في معناه:**

هو الاستسلام والخضوع والانقياد للَّه رب العالمين، وهو مجموع ما أنزل اللَّه تعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والأحكام التي تنظم علاقات الأفراد والمجتمعات وما يتعلق بالحكم والاقتصاد وموارد المال.

فهو بمثابة النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة

---

(١) رواه الترمذي - أبواب الإيمان - باب ما جاء بُني الإسلام علىٰ خمس ورواه مسلم - كتاب الإيمان - أركان الإسلام ودعائمه.

ومناهج السلوك للإنسان كما جاء به رسول الله ﷺ ، فالدين الإسلامي هو ما شرع الله تعالىٰ من شرائع وقوانين وأمر الإنسان المهيأ للكمال والإسعاد في الحياتين أن يطبق تلك الشرائع وأن ينفذ تلك القوانين بكل صدق وإخلاص ظاهراً وباطنًا وسميت تلك الشرائع والقوانين بالإسلام لأن تطبيقها وتنفيذها يستلزم استسلام الإنسان وانقياده وخضوعه الكامل لله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

❑ ❑ ❑

## أركان الإسلام وركائزه

**★ أركان الإسلام:**

والإسلام بني على خمس كما قال النبي ﷺ :

- شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه .
- إقام الصلاة .
- إيتاء الزكاة .
- صوم رمضان .
- حج البيت .

ونستطيع أن ندمج هذه الأركان في ثلاث :

**الركن الأول ـ التوحيد:** ويتمثل في شهادة أن لا إله إلا اللَّه .

**الركن الثاني ـ الإتباع:** ويتمثل في شهادة أن محمداً رسول اللَّه .

**الركن الثالث ـ التزكية:** ويتمثل في الصلاة ـ والزكاة ـ

والصوم - والحج .

**★ الركن الأول - التوحيد: «شهادة أن لا إله إلا الله»:**

ومعناها أعلم وأقر وأعترف وأعتقد بأن المعبود الحق هو الله تعالىٰ الذي يستحق وحده أن تفرد له العبادة دون سواه، وهذا التوحيد ينقسم إلىٰ :

- توحيد الألوهية .
- توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

**◁ وتوحيد الألوهية:**

إفراد الله تعالىٰ وحده بالعبادة .

**◁ ومظهرها:**

في توجه العبد إلىٰ الله تعالىٰ بالتوكل عليه والثقة به والخوف منه والإنابة إليه والطلب منه والأنس بذكره والفرار إليه ونشاط الجوارح بتنفيذ شرعه وإقامة دينه والانصباغ بصبغته وإيثار محبته وطاعته وجعل السلوك والأقوال والأفعال وسائر الأحوال علىٰ الوجه المرضي عند الله تعالىٰ وبهذا يحقق المسلم معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله بالقول والفعل .

**◄ توحيد الربوبية:**

معنى الرب أنه السيد المالك لكل شيء وموجده والمتصرف فيه والمربي لغيره وهو المتفرد سبحانه بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والضر والنفع والمِلك والمُلك التام وبالأمر والنهي والسيادة والتشريع:

﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

(سورة الأعراف: ٥٤)

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (سورة يونس: ٣١).

**★ توحيد الأسماء والصفات:**

«نؤمن بكل ما وصف اللَّه به نفسه وبما وصفه رسول اللَّه ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل».

والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين.

فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها

بمعنى من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح.

فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل على اللَّه باطنًا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فيثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي اللَّه وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه اللَّه ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنًا ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

ومعرفته بجلال اللَّه وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة وتثمر لك تلك الأحوال الباطنة أنواعًا

من العبودية الظاهرة هي موجباتها .

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلىٰ يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية . فرجعت العبودية كلها إلىٰ مقتضىٰ الأسماء والصفات وارتبطت بها ارتباط الخلق بها فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها .

**★ مكانة التوحيد في الإسلام:**

فالقرآن كله يدور علىٰ التوحيد ـ حيث أن آيات اللّٰه تعالىٰ إما :

- إخبار عن اللّٰه وصفاته وخلقه وأفعاله وتدبيره .
- أمر ونهي .
- بيان للثواب (جزاء للطائعين) .
- بيان للعقاب (جزاء المخالفين لشرعه) .
- إخبار عن أحوال المكذبين من الأمم السابقة .

**★ الركن الثاني ـ الاتباع «شهادة أن محمداً رسول اللّٰه»:**

وهي العلم والتصديق والإقرار والاعتقاد الجازم بأن

محمداً ﷺ هو رسول الله وإعلان ذلك وإظهاره وبيانه بالقول والفعل.

- بالقول بالنطق بهذه الشهادة.
- والعمل بكون سلوك الإنسان وجميع تصرفاته القولية والعملية وفق ما جاء به الرسول ﷺ على وجه الاتباع له.
- مقتضى الإيمان بنبوة النبي ﷺ ولوازم هذا الإيمان التسليم المطلق والتام لما جاء به النبي ﷺ وأخبر عنه وتصديقه وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه.

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

(سورة النساء: ٦٥)

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(سورة آل عمران: ١٣٢)

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

★ **واجبنا نحو النبي ﷺ :**

● تصديقه بكل ما أخبر عن ربه وطاعته في كل ما أمر به أو نهى عنه : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾

(سورة الحشر : ٧)

● محبته أكثر من النفس والولد والأهل والمال والناس أجمعين : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** »[١] .

● توقيره وتبجيله واحترامه حيًا وميتًا وفي ذلك التأدب عند سماع حديثه ﷺ وعدم تقديم قول أحد على قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (سورة الحجرات : ١) .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ (سورة الحجرات : ٢) .

● الصلاة والسلام عليه عند ذكره : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ**

---

(١) رواه البخاري - كتاب الإيمان - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

(سورة الأحزاب: ٥٦)

**★ الركن الثالث ـ التزكية ـ بالعمل الصالح ومنه الصلاة والصيام والزكاة والحج:**

وهو العمل المرضي عند اللَّه تعالى وهو كل عمل يكون وفق الشرع الإسلامي وأن يقصد به وجه اللَّه تعالى والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان باللَّه واليوم الآخر. والأعمال الصالحة كثيرة شاملة لكل نواحي الحياة وفي مقدمة هذه الأعمال الصالحة العبادات وفي مقدمة العبادات هذه الأركان التي بُني عليها الإسلام (الصلاة ـ الصيام ـ الزكاة ـ الحج) وهذه الأعمال الصالحة المرتكزة على الإيمان لها الأثر البالغ في صلاح الفرد والمجتمع وتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية.

**★ ركائز الإسلام:**

فالإسلام يقوم بناؤه ويعتمد أساسه على ركيزة أساسية هي:

**◁ إقامة الحق والعدل:**

فبالعدل قامت السموات والأرض وهي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (سورة الحديد: ٢٥). والعدل الذي أوجبه الله تعالىٰ هو العدل الذي ينتظم جميع جوانب الحياة.

**◁ عدل في الحكم:**

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (سورة النساء: ٥٨)

**◁ عدل في الشهادة والقول:**

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾

(سورة الطلاق: ٢)

﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾

(سورة البقرة: ٢٨٣)

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (سورة الأنعام: ١٥٢).

**◁ عدل لا يحابي قريبًا لقرابته:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ (سورة النساء: ١٣٥) .

▹ **عدل عند كتابة الوثائق:**

﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٢) .

▹ **عدل لا يظلم عدواً لعداوته:**

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (سورة المائدة: ٨) .

▹ **عدل عند الصلح بين المتخاصمين:**

﴿ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة الحجرات: ٩) .

▹ **عدل في الأسرة:**

قال رسول اللَّه ﷺ : «فاتقوا اللَّه واعدلوا بين أولادكم»[1] .

❑ ❑ ❑

(١) رواه البخاري - كتاب الهبة - باب الإشهاد في الهبة . ورواه مسلم - كتاب الهبات - باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة .

## ◘ خصائص الإسلام ◘

**★ خصائص الإسلام. وهي الخصائص التي تميزه عن غيره:**

**◁ أنه من عند الله تعالى (شريعة إلهية ربانية):**

فشريعتنا أنزلت إلينا من معبودنا وخالقنا سبحانه وتعالىٰ فهي شريعة إلهية ربانية وكون الإسلام من عند اللَّه فيترتب علىٰ ذلك:

● عصمة الشريعة وكماله وخلوه من النقائص والجهل والهوىٰ والظلم.

● قدسية الشريعة الإسلامية حيث تظفر بقدر كبير من الهيبة والاحترام والتوقير من قبل المسلمين.

● هذه الشريعة قائمة علىٰ أساس من عقيدة الإسلام وأن الشريعة مرتبطة بالعقيدة بل إنها ممتزجة بها فالإسلام عقيدة وشريعة دين ودولة وهذا يجعل حياة المسلم وحدة مترابطة منسجمة لا تعارض ولا تناقض فيها حيث العقيدة

تحكم الباطن وشريعة الإسلام تحكم ظاهره ومجتمعه .

• هي الشريعة الوحيدة التي لها الحق أن تحكم وتسود لأنها من صاحب السلطان الذي له حق التشريع ويجب على العباد الخضوع لها والطاعة له أما القوانين الأخرى فإنها ظالمة لأنها صادرة من غير صاحب الحق .

• الشريعة الإسلامية نظام مستقل متفرد بين النظم والشرائع فهي منهج متكامل ووحدة متجانسة .

• حرص المسلم على تنفيذه بصدق وإخلاص ويحذر من مخالفتها .

• النصوص التشريعية صيغت بأسلوب يخاطب العقل والقلب، أسلوب سهل ميسر اختلط فيه التقنين بالترغيب والترهيب وامتزج الأمر والنهي ببيان الحكمة .

**★ سعة الشريعة الإسلامية وكمالها «الشمول»:**

فالإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان، فالإسلام له حكم في كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وتصرفات كما أنه يتحكم فيما يتبنى الإنسان من أفكار - فسلوك الإنسان وتصرفاته وأفكاره محكومة

بالإسلام. فالشريعة الإسلامية أنزلت من عند اللَّه تعالىٰ لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها وحياة المجتمع الإنساني بكل أبعادها فلا تضيق بالحياة ولا تضيق الحياة بها. ولقد شاء اللَّه تعالىٰ أن تكون هذه الشريعة المباركة كاملة.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة:٣).

وإذا كانت الشريعة كاملة امتن اللَّه بإنزالها علىٰ عباده ورضيها لهم وعدها نعمته الكبرىٰ ونسبها سبحانه إلىٰ نفسه فلابد أن تكون شريعة واسعة وافية بمصالح العباد وهي مع سعتها لا تتناقض أحكامها.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ (سورة الكهف:١).

والاعوجاج المنفي يعني الاضطراب في الأحكام والكذب في الأخبار وكل ذلك قد نزه عنه كتاب اللَّه تعالىٰ.

فالشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي تحقق وحدة تامة وانسجامًا منقطع النظير بين كافة تفريعات الحياة وشعاب الفكر والعمل من المسجد إلىٰ ميدان القتال ومن طريقة

العبادة إلى استعمالات الطائرة ومن أدق تفاصيل الغسل والطهارة والاستنجاء إلى أعظم أمور العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدولية .

ومن أثر هذا الانسجام ما نلحظه من توافق بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية ومن الأدلة على سعة الشريعة عنايتها بإصلاح روح العبد وعقله وفكره وقوله وعمله وعنايتها بالفرد والأسرة والمجتمع وقد وضعت نظامًا اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وشرعت قيام الدولة الإسلامية وحددت معالمها ورسمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم وعلاقة الأمة بغيرها من الأمم في حالة السلم والحرب. والشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي تصل الدنيا بالآخرة وترسم طريق السعادة الأبدية وتصل الإنسان بخالقه ومعبوده .

**★ فأحكام الإسلام شاملة:**

أحكام العقيدة - أحكام الأخلاق - أحكام العبادات - أحكام المعاملات - أحكام الحكم والقضاء - أحكام تتعلق بمعاملة غير المسلمين - أحكام تتعلق بالأسرة - أحكام تتعلق

بموارد الدولة .

**★ عالمية الشريعة «العموم»:**

فالإسلام جاء لعموم البشر ولم يأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٧) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(سورة الأعراف:١٥٨)

فالخصائص الإنسانية لدى البشر واحدة على الرغم من اختلاف الألوان والأشكال والأجناس ويمكن للناس أن يحققوا وحدة إنسانية على ظهر هذه الأرض ولكن هذه الوحدة لا تتم إلا إذا أقام البشر الهدف الذي خُلقوا من أجله وهو عبادة اللَّه وحده .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات:٥٦) .

وتحقق ذلك يكون باتباع الدين الذي أنزله اللَّه تعالى والتحاكم إلى الشريعة التي أرادها اللَّه تعالى أن تكون قانونًا عالميًا للناس كلهم ألا وهي شريعة الإسلام . فالقانون العالمي الوحيد الذي يصلح لحكم الحياة الإنسانية وإصلاحها ويسع

الناس على اختلاف الزمان والمكان هو الشريعة الإسلامية فقد أراد الحق تعالى أن يكون الدين الإسلامي دينًا لجميع البشر والشريعة الإسلامية شريعة للناس كافة والقرآن منزل للعالمين ومحمد رسول الناس كلهم، فأحكام الشريعة الإسلامية وقواعدها ومبادؤها وجميع ما جاءت به يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان وتفي بحاجاتهم ولا تتخلف ولا تضيق عن أي مستوى عال يبلغه المجتمع البشري، فالشريعة الإسلامية ما شرعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل كذلك درء المفاسد عنهم والأضرار في العاجل والآجل، كما أن مبادئ الشريعة تتضمن أحكامًا عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل مكان وزمان وتتضمن الشريعة أحكامًا تفصيلية تتعلق بأمور العقيدة أو بالأخلاق أو العبادات أو المعاملات يتبين من خلالها مدى صلاحيتها للبقاء والعموم.

فالشريعة الإسلامية قد أنزلت من عند اللَّه تعالى لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها وتسع حياة المجتمع الإنساني بكل أبعادها.

**★ المثالية والواقعية:**

فالإسلام حريص على أن يصل الإنسان إلى أعلى مستوى ممكن من الكمال المقدور له وذلك بجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصده وأفكاره وميوله وفق المناهج والكيفيات والأوضاع التي جاء بها الإسلام، ومع ذلك لم يغفل الإسلام طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم لذلك جعل الإسلام أدنى مستوى للكمال لا يجوز للإنسان أن ينزل عنه لأنه هو المستوى الضروري لتكوين شخصية المسلم وهو المستوى الإلزامي الواجب بلوغه على كل مسلم (فعل الواجبات ـ وترك المحرمات) وإلى جانب هذا المستوى الإلزامي الواجب وضعت الشريعة مستوى آخر أرفع منه وأوسع منه وحببت إلى الناس بلوغ هذا المستوى العالي وهذا يشمل فعل المندوبات وترك المكروهات.

**★ ثبات الشريعة الإسلامية واستمرارها واستقرارها (مرونة الشريعة):**

فهي شريعة إلهية ربانية مصونة ومحفوظة فقد تكفل اللّه

بحفظ كتابه الذي هو مصدر الشريعة .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٩) .

هذه الشريعة تملك الخصائص التي تجعلها صالحة للحياة الإنسانية مهما ترقت الحياة وتطورت فهي شريعة واسعة مرنة وهي لسعتها تسع الحياة الإنسانية في كل العصور وتسع الحياة الإنسانية مهما تطورت .

فالشريعة الإسلامية مرنة في أصولها حيث تضع المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وتضع الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان وهذا يعطي الشريعة سعة ويجعلها صالحة لحكم الحياة الإنسانية .

فالشريعة الإسلامية قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال بحيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر . والشريعة الإسلامية وضعت سبلاً لعلاج ما يَجِدُّ من أحكام ـ لذا شرعت الاجتهاد لتبين أحكام الأمور والمشكلات التي ليس لها حكم منصوص عليه في الشريعة كما شرعت التعزير

لمعالجة الجرائم التي لم ينص الشارع على عقوبة مقدرة لها ومقدار التعزيرات وأجناسها وصفاتها تتغير حسب اقتضاء المصلحة لها زمانًا ومكانًا .

*** التوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع:**

فالإسلام بتشريعه المتكامل يقرر حقوق الفرد كما يقرر حقوق الجماعة ويقيم نوعًا من التناسق والتوازن والانسجام بين كل منهما ويحدد الحدود المناسبة لهما ويجعل الارتباط وثيقًا ومتينًا بينهما . فالتشريع الإسلامي يؤكد الكيان الشخصي للفرد ويعتبره مسئولاً أمام اللَّه تعالى وأمام نفسه وأمام المجتمع ، ولذا فهو يضمن للإنسان الحقوق الأساسية كحق الحياة - حق الحرية - حق التعليم - حق المساواة - حق التملك - حق الكرامة - ولا يبيح التشريع لأي كائن في الوجود أن يعبث بها أو ينتقص منها .

والتشريع الإسلامي يغرس في النفس الإنسانية شعورها بمسئولية الجماعة ويربط بين الناس في نطاق الوظيفة الاجتماعية وحراسة الرأي العام ودعم بناء الدولة ويأمر كل فرد في المجتمع بمراعاة الصالح العام المشترك ، ولذا نجد أن

العبادة في الإسلام تربي المسلم على الاستشعار بالوظيفة الاجتماعية ومراعاة الصالح العام المشترك ويُرى ذلك في الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، قال الله تعالى:

**﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** (سورة التوبة: ٧١)

وقد مثَّل رسول الله ﷺ مسئولية الفرد تجاه المجتمع ومسئولية المجتمع تجاه الفرد بمثال السفينة ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية تجاه الشاذين والمنحرفين - حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها ويتحقق لها في الوجود كيانها وسيادتها وتكون في مأمن دائمًا من العبث والعابثين واستبداد الظالمين. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم**

**نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**(١) .

**★ الجزاء في الإسلام:**

فأحكام الإسلام ليست نصائح وإرشادات ولكنها واجبة التنفيذ بفعل المأمور واجتناب المحظور، وقرر الإسلام ثوابًا للملتزم بشرعه وعقابًا لمن خرج عن شرعه عقابًا أخرويًا ودنيويًّا. وهذا العقاب الدنيوي ضروري لاستقرار المجتمع وتنظيم علاقات الأفراد على نحو مؤثر وضامن لحقوق الناس، وعقاب الدنيا لا يمنع الجزاء في الآخرة لهذا المخالف العاصي إلا إن تاب توبة نصوحًا وتحلل من حقوق الغير إن كانت المعصية تتعلق بحقوق الغير. وجزاء الآخرة يجعل المسلم خاضعًا لأحكام الشريعة خضوعًا اختياريًّا في السر والعلن خوفًا من عقاب الله تعالى حتى ولو استطاع الإفلات من عقاب الدنيا.

**﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الشركة/ باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟.

سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ (سورة آل عمران: ٣٠) .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (سورة الزلزلة: ٧-٨) .

**★ شريعة الإسلام هي شريعة العدل والتوسط والاعتدال:**

فالأحكام الشرعية مصطبغة بالعدل اصطباغًا تامًا فلا تميل القواعد القانونية الشرعية إلى جانب الحاكم ضد مصالح المحكوم، ولا تعطي الرجال حقوقًا بحيث تظلم النساء ولا يمكن أن تخطئ المقدار المناسب للجريمة لأن واضعها يتصف بالعلم المطلق الشامل. فالشريعة الإسلامية تتصف بالعدل في كل أحكامها وتشريعاتها، كما أنها تتصف بالتوسط والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط في تشريعاتها لأنها صادرة من عند الله العليم الحكيم الخبير الذي يقرر العدل والحق.

**★ اليسر ورفع الحرج:**

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(سورة البقرة: ١٨٥)

فقد بلغ من يسر الشريعة إلى درجة تخفيف الواجبات

عند الحرج والسماح بتناول القدر الضروري من المحرمات عند الحاجة وهذا مقتضىٰ كون هذا الدين رحمة ونعمة وشريعة واسعة كاملة، فلم يكن هذا الدين للشقاء والعذاب والآلام، إنه رحمة.

﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ (سورة طه: ١-٢).

ولا يظن الظان أن اليسر يعني الانفلات من قيود الشرع والتعدي علىٰ حدود اللَّه فذلك ليس يسراً إنما بغي وتعدي إن اليسر هو الالتزام بأحكام هذا الدين كما أرادها اللَّه تعالىٰ ثم التعامل مع هذه الأحكام والتشريعات وفق منهج اليسر الذي نتبين معالمه من خلال المنهج النبوي الكريم.

**★ حفظها لمصالح العباد:**

قال ابن تيمية - رحمه اللَّه - الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فالشريعة الإسلامية وحدها من بين الشرائع هي التي تحقق مصالح العباد وذلك بحفظها لنظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان المهيمن عليه، فالشريعة وُضعت لحفظ مصالح العباد وقطع دابر الفساد.



## مقاصد الإسلام

**★ تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل:**

فمن مقاصد الإسلام تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجل. فالشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها.

**★ مصالح العباد:**

• **ضرورية:** حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

• **حاجية:** فهي التي يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشهم وإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة ولكن يصيب الناس ضيق وحرج.

• **تحسينية:** ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق، وإذا فاتت خرجت حياة الناس عن النهج القويم السليم الذي تقضي به الفطر السليمة والعادات الكريمة.

**★ ما هو معيار المصلحة والمفسدة:**

هو الإسلام فما شهد له الإسلام بالصلاح فهو المصلحة،

وما شهد له بالفساد فهو المفسدة .

والإنسان عاجز عن إدراك المصلحة والمفسدة الحقيقية وعاجز عن طريق الوصول إليها في الدنيا والآخرة فإن أدرك بعضها في الدنيا فإنه عاجز عن معرفة مصالحه في الآخرة وطريق الوصول إليها لذا كانت مصلحة الإنسان الحقيقية في اتباع ما أنزل اللّه تعالىٰ وإقامة أمور الدنيا وفق النظام الإسلامي ، فإن تطبيق أحكام الإسلام واتباع تعاليمه ومناهجه في الحياة لا يفوِّت علىٰ الإنسان الحياة الطيبة في الدنيا وإن هذه الحياة القائمة علىٰ معاني الإسلام تسهل له سلوك سبيل الآخرة بيسر وسهولة حتىٰ توصله إلىٰ اللّه تعالىٰ راضيًا مرضيًّا .

ولنعلم أن مصالح الدنيا معتبرة بمصالح الآخرة لأن مصالح الدنيا وسيلة لمصلحة الآخرة والظفر بسعادة الآخرة .

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص:٧٧).

❑ ❑ ❑

## ** أنظمة الإسلام **

### نظام الأخلاق في الإسلام

الأخلاق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية وهي ذات تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه حيث أن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات وكل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لذا نقول: صلاح الإنسان بصلاح أخلاقه ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾ (سورة الأعراف:٥٨).

القاعدة الإيمانية في الإسلام تلزم بطاعة اللَّه في أوامره ونواهيه وترغب بالعمل بوصاياه وقد اشتملت أوامر اللَّه ونواهيه ووصاياه على التوجيه للعمل بمكارم الأخلاق واجتناب رذائلها وقرنت ذلك بالوعد بالثواب لمن أطاع

والوعيد بالعقاب لمن عصىٰ. قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**»[١] . ففي هذا الحديث ربط النبي ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق.

فالأخلاق جزء مهم من العقيدة فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق وقد ربىٰ رسول اللَّه ﷺ صحابته على مكارم الأخلاق وكان ﷺ يقرأ عليهم ما ينزل عليه من قرآن فإذا سمعوه وتدبروه عملوا بتوجيهاته . والمتدبر للقرآن المكي يجده مليئًا بالحث علىٰ مكارم الأخلاق وعلىٰ تنقية الروح وتصفيتها من كل ما يعيق سيرها إلىٰ اللَّه تعالىٰ ، وقد ربىٰ النبي ﷺ صحابته علىٰ الصدق والكرم والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الرحم واجتناب الفواحش والآثام وقول الزور وأكل أموال الناس بالباطل إلىٰ غير ذلك من مكارم الأخلاق التي أمر اللَّه بها ورغب فيها والتي ترتفع بالإنسان إلىٰ أفق عال من الصلاح والإصلاح .

---

(١) رواه الترمذي - أبواب الإيمان - باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان .

**★ الإسلام التطبيقي آثار للإيمان وثمرات عملية له:**

فأحسن الناس خلقًا لابد أن يكون أصدقهم إيمانًا وأخلصهم نية وأكثرهم التزامًا بما يجب على العباد نحو ربهم من عبادة وحسن توجه له وصلة به وأكثرهم التزامًا بحقوق الناس المادية والأدبية. فالأسس الأخلاقية والأسس الإيمانية ذات أصول نفسية واحدة، وحسن الخلق عبادة ذات آثار اجتماعية تنفع خلق اللَّه وتوحد كلمتهم وتبعد عنهم عوامل الفرق والاختلاف.

**★ مكانة الأخلاق في الإسلام:**

تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق «**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**»[(١)].

الأخلاق هي التي ترجح كفة الحسنات يوم القيامة «**سئل النبي ﷺ ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى اللَّه وحسن الخلق**»[(٢)].

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ - كتاب حسن الخلق - باب ما جاء في حسن الخلق.

(٢) رواه الترمذي - أبواب البر والصلة - باب ما جاء في حسن الخلق ورواه ابن ماجة - كتاب الزهد - باب ذكر الذنوب.

◻ المؤمنون يتفاضلون في إيمانهم بحسن الخلق «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[1] .

◻ الظفر بحب رسول الله ﷺ والقرب منه يوم القيامة يكون بحسن الأخلاق «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[2] .

◻ مدح رسول الله ﷺ بحسن الخلق ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(سورة القلم: ٤) .

◻ كثرة الآيات المتعلقة بحسن الخلق .

**★ موقف أعداء المسلمين من الأخلاق الإسلامية:**

وقد أدرك أعداء المسلمين هذه الحقائق عن مكارم الأخلاق فعملوا على إفساد أخلاق المسلمين بكل ما أوتوا من مكر ودهاء وبكل ما أوتوا من وسائل مادية وشياطين إغواء ليبعثروا قواهم المتماسكة بالأخلاق الإسلامية العظيمة وليفتتوا وحدتهم فبدأوا بهدم العقيدة لأنها بمثابة النبع الأساسي الذي يزود الإنسان المسلم بالأخلاق الإسلامية

(١) رواه أبو داود في السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

(٢) رواه الترمذي - أبواب البر والصلة - باب ما جاء في معالي الأخلاق .

العظيمة ثم كان المكر بالعلوم الإسلامية والدراسات المتعلقة بها فحجبوا منها جانبًا وشوهوا جانبًا آخر مع التلاعب بالمفاهيم ثم أغرقوا المجتمع المسلم بألوان شتىٰ من الفساد والشهوات المرتبطة برذائل الأخلاق حتىٰ عدوا العفة تخلفًا ورجعية.

**★ خصائص نظام الأخلاق في الإسلام:**

**◁ الخصيصة الأولى (التعميم والتفصيل للأخلاق):**

فقد دعىٰ الإسلام إلىٰ الأخلاق الكريمة دعوة عامة إلىٰ التحلي بالأخلاق الجيدة والتخلي عن الأخلاق الرديئة ثم كان من مظاهر رحمة اللَّه تعالىٰ بعباده أن بيَّن لهم ما يتقون وما يأخذون وما يتركون فكان تفصيل الأخلاق تفصيلاً شاملاً لكل الأخلاقيات علىٰ سبيل التفصيل والبيان في الكتاب والسنة من وفاء بعهد ونهىٰ عن الإسراف والتبذير والأمر بالرفق والحياء.

**◁ الخصيصة الثانية (شمول الأخلاق):**

فدائرة الأخلاق الإسلامية واسعة شاملة لجميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه والمتعلقة بغيره سواء أكان الغير فردًا أو

جماعة أو دولة.

### ◁ لزوم الأخلاق في الوسائل والغايات:

فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة فالغاية لا تبرر الوسيلة، ومما يدل على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معاني الأخلاق فيها قول اللَّه تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة الأنفال: ٧٢).

فهذه الآية توجب على المسلمين نصرة إخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة في الدين ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم يجز النصرة لأن الوسيلة إلى النصرة الخيانة ونقض العهد والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين فلابد أولاً من إعلام الكفار بنبذ العهد ثم تكون بعد ذلك النصرة.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٥٨).

### ◁ صلة الأخلاق بالإيمان وتقوى اللَّه:

فالأخلاق جزء مهم من العقيدة الإسلامية والناظر إلى

كتاب اللَّه تعالىٰ يلمس ذلك جيداً حيث أن الآيات المكية مليئة بالحث علىٰ مكارم الأخلاق وهذا هو عهد البناء العقدي فنقرأ في سورة الفرقان (مكية).

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٣-٧٥).

وفي سورة المؤمنون (مكية): ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١-١٠).

وفي سورة الإسراء (مكية): ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (سورة الإسراء: ٢٣-٣٨).

وكذا في كل السور المكية دعوة تفصيلية وبيان شامل للأخلاقيات التي ينبغي أن يتربىٰ عليها الإنسان وأن الأخلاق مظهر للإيمان وتقوىٰ العبد لربه.

وكذلك في السنة «**واللَّه لا يؤمن واللَّه لا يؤمن واللَّه لا يؤمن** قالوا: من يا رسول اللَّه؟ قال: **من لا يأمن جاره**

بوائقه»(١). الحديث، «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»(٢). الحديث.

▹ **الجزاء:**

فالإسلام جاء بالأخلاق أمرًا أو نهيًا وعصيان أوامر الشرع أو ارتكاب ما نهى عنه سبب للعقاب والجزاء لمن يخالف حدود الشرع في الأخلاق.

★ **قواعد السلوك (المنهج الخلقي العام):**

فمن خلال حديث معاذ بن جبل ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ: «**اتق اللَّه حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»(٣).

▹ **القاعدة الأولى (اتق اللَّه حيثما كنت):**

علاقة الإنسان بربه: تقوى اللَّه في أي مكان ظاهر أو خفي يكون فيه الإنسان، لأن الإنسان حينما يتقي ربه في كل

(١) رواه البخاري - كتاب الأدب - باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

(٢) رواه البخاري - كتاب المظالم - باب النهي بغير إذن صاحبه ورواه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٣) رواه الترمذي - أبواب البر والصلة - باب ما جاء في معاشرة الناس.

أحواله الظاهرة والباطنة فلابد أن يكون مخلصًا للَّه في تقواه.

▷ **القاعدة الثانية. (واتبع السيئة الحسنة تمحها):**

إرشاد إلىٰ منهج الإصلاح والتقويم وتدارك النهوض بالنفس بعد سقوطها بارتكاب السيئة.

▷ **القاعدة الثالثة. (وخالق الناس بخلق حسن):**

تحدد المنهج العام الذي يجب علىٰ الإنسان أن يسلكه في علاقاته بالناس وعنوان هذا المنهج أن يخالق الناس بخلق حسن.

★ **السلوك الأخلاقي المظهر للقاعدة الأولى:**

- الإيمان باللَّه تعالىٰ.
- الاعتراف للَّه تعالىٰ بكمال الصفات والأفعال.
- شكر اللَّه تعالىٰ علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ.
- طاعته في أوامره ونهيه.
- الاستجابة للَّه فيما يدعو الناس إليه وتقبل نصائحه ووصاياه.

• التسليم التام لما يحكم علينا به .

**★ السلوك الأخلاقي المظهر للقاعدة الثانية:**

• الصبر على المصائب .

• الأناة في الأمور .

• النظام والإتقان في العمل .

• عدم استعجال الأمور قبل أوانها .

**★ كيف تكتسب الأخلاق وما هو الطريق إلى تقويمها:**

• العلم نتعلم ما هو الجيد من الأخلاق وما هو الردئ منها .

• نتعرف على أهمية الأخلاق بالنسبة للإيمان والتقوى وكيف أنها مظهر لهذا الإيمان .

• الاهتمام الكامل بتقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس خاصة الإيمان بالله واليوم الآخر .

• مباشرة الأعمال الطيبة التي تؤدي إلى تقويم الأخلاق أو تسهل على النفس قبول الأخلاق الزكية وطرد الخبيثة .

● القيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة والإكثار من هذه النوافل .

● تكلف الأخلاق، إنما العلم بالتعلم والصبر بالتصبر والحلم بالتحلم .

● الصحبة المؤمنة التي تعين الإنسان على اكتساب الجيد من الأخلاق . وطرد الرديء منها .

● القدوة الحسنة .

● ترك البيئة الفاسدة .

● ترويض النفس على قبول النصيحة .

**★ انهيار الأخلاق وأثرها في المجتمع:**

انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائمًا انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية فإذا انهارت أخلاقيات الأفراد إنهار خلق المجتمع وانقطعت بذلك جميع الروابط الاجتماعية وأمسى المجتمع مفككًا منحلاً .

❑ ❑ ❑

## النظام الاجتماعي في الإسلام

العقيدة الإسلامية هي الأساس لبناء المجتمع ونظامه وهذا النظام يتضمن الحدود التي يجب أن يقف عندها الجميع والضوابط العامة التي يجب أن يلتزموا بها في سلوكهم حتى يستطيعوا العيش بأمان واستقرار .

فالمجتمع الصالح هو المجتمع القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه والمجتمع الفاسد بخلافه، فالمجتمع الصالح هو القائم على أساس العقيدة الإسلامية التي ينبثق منها النظام الاجتماعي الإسلامي الذي ينظم شئونه المختلفة .

وصلاح نظام المجتمع وفساده يقوم على صلاح وفساد الأسس التي يبنى عليها . فالعقيدة الإسلامية هي الموجهة لأفكار الإنسان وسلوكه وسائر تصرفاته ولا يمكن التخلي عنها في شأن من الشئون .

★ **نتائج اتخاذ العقيدة الإسلامية أساسًا لنظام المجتمع:**

▹ **الرباط الإيماني:**

فالإسلام يعتبر المؤمنين بالعقيدة الإسلامية أخوة في الدين، وهذه من أعظم الروابط بين المسلمين وعلى أساسها تكون الموالاة وهذه الرابطة الإيمانية لا تقتضي اضطهاد غير المسلمين وإيذائهم.

▹ **زوال العصبية:**

وزوال العصبية من المجتمع يقلل فرص الاعتداء والظلم والبغي ويساعد على تثبيت معاني الحق والعدل.

▹ **تقوى الله هو ميزان التفاضل بين الناس:**

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

★ **خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام:**

▹ **مراعاة الأخلاق:**

فالنظام الاجتماعي يمتاز بحرصه الشديد على طهارة المجتمع ونظافته من القبائح والرذائل ففي هذا النظام جملة

من الوسائل الوقائية التي تقي المجتمع من السوء والمنكرات وتسد المنافذ والثغرات في وجه الشيطان. ومن مظاهر مراعاة الأخلاق في النظام الاجتماعي:

١ـ التوادد والتراحم والتعاطف بين أفراده «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[1].

٢ـ التعاون بين أفراده: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة: ٢).

**◁ الالتزام بمعاني العدالة:**

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(سورة النحل: ٩٠)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

---

(١) رواه البخاري - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم، ورواه مسلم - كتاب البر والصلة - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾(سورة النساء:١٣٥) .

▹ **العناية بالأسرة:**

فالأسرة هي أساس كيان المجتمع لأن من مجموعها يتكون المجتمع ولذا يترتب على ذلك إن صلحت الأسرة صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع لذا اعتنى النظام الاجتماعي الإسلامي بالأسرة عناية كبيرة تظهر في الأحكام الكثيرة التي وردت بشأنها .

▹ **معالم التنظيم الإسلامي في موضوع الأسرة:**

**الزواج:** وهو السبيل الطبيعي لتكوين الأسرة وبقاء الجنس البشري .

**إجراءات الزواج:** فقد شرع الإسلام للزواج إجراءات معينة تشريفًا وتكريمًا لهذه العلاقة (علاقة الزواج) الخطبة، عقد النكاح الشرعي القائم على الإيجاب والقبول المتضمن رضى الطرفين وحضور الشهود العدول والولي .

**حقوق الزوجة:** حيث يترتب على عقد النكاح حقوق للزوجة كالمهر والنفقة وغيرها .

**حقوق الزوج:** فمن حقه على الزوجة طاعته بالمعروف

لأن القوامة للرجل.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (سورة النساء:٣٤)

**حقوق الصغار في الأسرة:** حيث أن الذرية ثمرة النكاح لهم حقوق كالنفقة والرعاية والحضانة، والرضاع وثبوت النسب.

**وحقوق الأبوين على أولادهما:**

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة الإسراء:٢٣).

التضامن بين أفراد الأسرة: على أساس من المودة والرحمة والشفقة والتعاون.

**◁ تحديد مركز المرأة في المجتمع:**

**حقوق المرأة:**

حقها في الحياة، حق اكتساب الأموال بالطرق المشروعة لأن المرأة لها ذمة صالحة لاكتساب الحقوق المالية وغير المالية.

لها حق المهر في عقد النكاح، حق حضانة الأولاد

الصغار إذا وقعت الفرقة بينها وبين زوجها .

حق تعلم العلوم النافعة بالكيفية التي تناسب طبيعتها والالتزام التام بالآداب الإسلامية اللازمة لها .

**واجبات المرأة:**

- مخاطبة بالتكاليف الشرعية في باب الاعتقادات والعبادات والمعاملات بما يناسب طبيعتها .
- مجزية على عملها وقيامها بما كلفت به .
- النساء داخلة في الخطاب الموجه من اللَّه تعالى للمؤمنين إلا ما قام الدليل على خلاف ذلك .
- واجب طاعتها لزوجها في غير معصية اللَّه .
- مسئوليتها عن البيت وشئون البيت ومؤتمنة عليه .

**الوظيفة التي اختصت بها المرأة:**

خلقت المرأة لتكون زوجة وأم وأودع اللَّه فيها التطلع والحنين إلى ذلك وقد وهبها اللَّه تعالى القابلية والقدرة على تربية أولادها والصبر عليهم في جو من حنان الأمومة الفطري فيها . فوظيفة المرأة الأساسية الأصلية وظيفة الزوجة والأم وتربية الأولاد وتنشئة الأولاد على أساس من

النشأة الصالحة.

**الآداب التي تلتزم بها المرأة:**

لا يجوز للمرأة أن تخلو برجل غير محرم لها ولو كان قريبًا لها كابن العم وابن الخال.

الابتعاد عن مخالطة الرجال الأجانب خوف الفتن.

إخفاء زينتها إلا ما ظهر منها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (سورة النور: ٣١)

أن تلبس اللباس الشرعي: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (سورة النور: ٣١)

أن تراعي الآداب الشرعية عند الكلام والمشي: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (سورة النور: ٣١).

﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٢).

**تحمل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع:**

كل فرد مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه والتعاون مع غيره لتحقيق

هذا المطلب : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (سورة المائدة: ٢) .

ومطالب أيضًا بعدم إفساد المجتمع : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (سورة الأعراف: ٥٦) .

فالفرد يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه .

**★ ضرورة قيام المجتمع الصالح:**

فهو ضروري للفرد لأن المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الذي خلق من أجله وهو عبادة اللَّه وحده . والمسلم لا يستطيع أن يصوغ حياته هذه الصياغة الإسلامية إلا إذا كان المجتمع الذي يعيش فيه منظمًا على نحو يسهل عليه هذه الصياغة (أي أن يكون مجتمعًا إسلاميًا صحيحًا) .

**النجاة من العقاب الجماعي:**

فالمجتمع الذي تشيع فيه المنكرات والفواحش وتنتهك فيه حرمات اللَّه وينتشر فيه الفساد ينزل اللَّه عليه العقاب ليأخذ الصالح والطالح . ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (سورة الأنفال: ٢٥) .

**◁ أصول إصلاح الفرد:**

**إصلاح الاعتقاد:** فالإسلام حريص على توضيح

العقيدة وتحديد معانيها والحرص على تلقينها وإقامة دلائلها.

**إصلاح التفكير:** فأعمال الإنسان جارية في الصلاح والفساد على حسب تفكيره وإصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع عن طريق صلاح الأفراد لذا اهتم القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار، وكل فرد مأمور بصحة التفكير في دائرة ما يحتاجه من الأعمال حتى يعصمه من الوقوع في مهاوي الأخطاء.

**إصلاح العمل:** فأعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم وأفكارهم فجدير بمن صلحت عقائده وأفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة، لذلك كان أسلوب الإسلام في الأمر بالأعمال الصالحة والنهي عن أضرارها أن يبتدئ بإصلاح العقيدة. وأدلة القرآن والسنة مملوءة بالأمر بإحسان العمل وبيان الأعمال الصالحة وبالوعد على الامتثال والوعيد على الاقتحام. وحاصل معنى الإصلاح في العمل ألا يكون مفضياً إلى مفسدة أو إضاعة مصلحة.

**الحث على اكتساب العلم:** إما لإصلاح الفكر أو لإصلاح العمل. حيث بالعلم نستطيع أن نميز بين الخبيث والطيب وبين الخير والشر وبين الحق والباطل والصحيح والسقيم.

❑ ❑ ❑

## النظام الاقتصادي في الإسلام

العـقـيـدة الإسـلامـيـة هي الأسـاس الفكري للنظام الاقتـصادي وهذه العقيـدة هي التي تبين علاقة الإنسان بالكون وبخالق الكون وبالغاية التي من أجلها خلق الإنسان وتفصل وسائل تحقيق هذه الغاية. فالنظام الاقتصادي في الإسلام يعمل على تسهيل وتيسير السبل للإنسان لبلوغ الغاية التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة اللّه وحده.

**★ من معاني العقيدة الإسلامية ولوازمها التي لها علاقة في موضوع النظام الاقتصادي:**

- الملك للّه وحده، وللّه وحده حق التصرف المطلق في جميع المخلوقات.
- المال مال اللّه.
- استعمال المال في مرضاة اللّه تعالى.
- تسخير اللّه تعالى مخلوقاته لنفع الإنسان.
- الدنيا وسيلة لا غاية.

- الملك المجازي للإنسان.

**★ خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي:**

- ربانية المصدر.
- ربانية الهدف: (التأكيد على سد حاجات الأفراد)

فالإنسان له حاجات ضرورية لا يمكن العيش بدونها كحاجته إلى الطعام والشراب والسكن واللباس وما يلحق بهذه الأشياء ولابد من توفير العيش الكريم لكل إنسان في المجتمع الإسلامي. والاقتصاد الإسلامي يهدف إلى سد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقًا لشرع اللّٰه تعالى الذي استخلف الإنسان في التصرف في المال والانتفاع به.

فالمسلم يدرك أن المال مال اللّٰه تعالى فيكون إرضاء مالك المال سبحانه هدفًا يسعى إليه المسلم في نشاطه الاقتصادي.

مراعاة الفطرة الإنسانية: فنظام الاقتصاد في الإسلام راعى جانب الفطرة الإنسانية لأن الإسلام هو دين الفطرة ومن مظاهر هذه المراعاة:

- إقرار الملكية للإنسان.
- إقرار نظام الإرث.

● التمتع بثمرات جهوده ونشاطه .

ومراعاة الفطرة الإنسانية ليس معناه السير وراءها كيفما سارت وإلى أي جهة اتجهت ولكن بما يوافق ما شرع اللّه تعالى .

**▹ التوازن بين المادية والروحية:**

فالاقتصاد الإسلامي جاء ليوازن بين الجانبين بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ولهذا وجدنا الربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الإيمانية .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(سورة الأعراف:٩٦) .

**▹ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة:**

فللإنسان دوافعه ورغباته وما يراه محققًا لمصالحه الخاصة ، وقد تتعارض مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة فراعى الاقتصاد الإسلامي التوازن العام بين المصلحتين .

وللمالك حق الانتفاع المشروع بما لا يتعارض مع مصلحة الجماعة ، وليس له استخدام ما يملك بطريقة تسبب الضرر للآخرين أو الجماعة ، وليس له كذلك تعطيل الانتفاع

تعطيلاً يضر بمصلحة الجماعة . ولذا فالمحتكر الذي يريد أن يستغل حاجة الجماعة لا يمكَّن من هذا بل يقوم ولي الأمر أو المحتسب بإجباره على البيع بثمن المثل .

**◁ الرقابة المزدوجة:**

فإحساس المسلم أن اللَّه تعالى أحل كذا وحرم كذا يفرض رقابة ذاتية ولذلك نجد أن سلوك المسلم في نشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته .

**◁ مراعاة معاني الأخلاق:**

لأن المجتمع المسلم يقوم على معاني الأخلاق كالمحبة والتعاون النظيف، فلا حسد ولا حقد ولا بغضاء ولا شحناء ولا غش ولا خداع ولا غدر .

**◁ العالمية والواقعية:**

فالإسلام جاء صالحًا لكل زمان ومكان والاقتصاد جزء من هذا الدين الخاتم ولهذا جاء بأحكام كلية ومبادئ عامة تناسب كل مكان وزمان وجمع بين الثبات والمرونة . والاقتصاد الإسلامي واقعي في مبادئه ومنهجه وأحكامه ينظر إلى الواقع العملي الذي يتفق مع طبائع الناس ويراعي

دوافعهم وحاجاتهم ومشكلاتهم لا يجنح إلى خيال وأوهام.

★ **المبادئ العامة في النظام الاقتصادي الإسلامي:**

◁ **حرية العمل:**

اختيار العمل المناسب للفرد متروك له ولتقديره، فالإسلام يمنح الإنسان حرية العمل - أي الحرية الاقتصادية - فلكل إنسان أن يختار من الأعمال ما يرغب فيه ويناسب ميوله وقدرته فيكثر إنتاجه ويبارك في عمله وهذا خير يعم المجتمع الذي يعيش فيه - وهذا العمل يكون محكومًا بالإسلام -.

◁ **حق الملكية الفردية:**

فالإسلام أقر للأفراد بحق الملكية الفردية ولكن يقيد ذلك أن تكون الملكية بسبب شرعي، أن يكون قد استولى على المال بطريق مشروع سواء ميراث أو نفقات أو مهر أو إجارة أو من البيوع أو الصناعات أو الزراعة.

◁ **حق الإرث:**

وهذا الحق يحقق ضمانًا اجتماعيًا لما يوفره من أموال

تعـدد لأفـراد الأسـرة الواحـدة ويفـتـت الثـروات ويمنع تكدسها، ولا يُضّيع الصغير واليتيم والأرمل ولا يصيرون عالة على المجتمع، وفيه تخفيف عن كاهل الدولة في سد حاجة المحتاجين.

**★ بيت المال (موارده ومصارفه):**

الدولة تحتاج إلى نفقات كثيرة لسد حاجاتها المختلفة وهذه النفقات تغطيها من مواردها المتعددة حيث أن موارد الدولة الإسلامية الزكاة - الخراج - الجزية - العشور - الفيء - خمس الغنائم.

**★ الزكاة:** وهي من فروض الإسلام - وهي حق يجب في مال المسلم أو المسلمة إذا بلغ نصابًا وكان خاليًا من دين فعليه زكاته عند تمام الحول. أموال الزكاة (الذهب والفضة - قيم عروض التجارة - الماشية - الزروع والثمار - المعدن) والزكاة تكون بأنصبة مقدرة من جهة الشارع وتختلف الأنصبة حسب نوع المال.

**★ الجزية:** وهي المال المأخوذ من الذمي فهي ضريبة على الرءوس يلتزم غير المسلم بأدائها إلى الدولة الإسلامية

إذا ما دخل في الذمة وتسقط الجزية إذا أسلم الذمي أو عجزت الدولة الإسلامية عن حماية الذميين.

* **الخراج:** ما ضرب على أراضي الكفار المغنومة عنوة والتي تركها المسلمون بيد أهلها يزرعونها ويستغلونها وهي ضريبة مالية.

* **العشور:** ضريبة تجارية يخضع لها الذميون والمستأمنون وتستوفى مرة واحدة في السنة من الذمي والمستأمن. وتفرض على أموال الذمي المعدة للتجارة إذا انتقل من بلد إلى بلد داخل الدولة الإسلامية ومقدارها نصف العشر، وأما المستأمن وهو غير المسلم إذا دخل دار الإسلام بأمان فتفرض على ما يدخل به من مال للتجارة ومقدارها عشر ما يدخل به من مال.

* **الغنائم:** وهو المال المأخوذ من الكفار بالقتال وبيت المال نصيبه من ذلك المال من خمس الغنيمة حيث يصرف سهم اللَّه وسهم رسوله في مصالح المسلمين والإسلام.

* **الفيء:** كل مال أخذه المسلمون من الكفار بغير حرب، ولإمام المسلمين صرفه في مصالح المسلمين حسب

ما تقتضيه هذه المصلحة .

★ **موارد أخرى:** وهي الأموال التي ليس لها مالك معين مثل من مات من المسلمين وليس له وارث معين، وكالغصب والعواري والودائع التي تعذر معرفة أصحابها وما يكون من أراضي الدولة التي تستغلها أو تؤجرها فتكون الغلة أو الأجرة لبيت المال .

★ **ومن موارد بيت المال:** ما يفرضه الإمام في أموال الأغنياء عند الضرورة لصرفه على شئون الدولة والرعية الضرورية عند عدم وجود مال في بيت المال مثل نفقات الجند وسد حاجات المحتاجين، وتفرض مرة واحدة إذا اقتضت الضرورة الملحة .

❑ ❑ ❑

# نظام الحكم في الإسلام

**★ مكانة الحكم في الإسلام وأهميته:**

ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين فلا قيام للدولة إلا بها، فهناك أحكام لا يتصور تنفيذها دون وجود حكم ودولة تأخذ بها وتعمل على تنفيذها كأحكام القصاص والسرقة والزنى وأحكام الذين يسعون في الأرض فساداً - وأحكام مالية تختص بالميراث والزكاة وجمعها وتفريقها بين مستحقيها - وكالقيام بالجهاد والدفاع عن الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين الأمم ومنها الإعداد المادي من سلاح وتدريب وتموين وآلات قتال، فمجموع هذه الأحكام الجنائية والمالية والجهادية وغيرها لا يمكن إيرادها والإلزام بها إلا إذا كان القرآن يفرض على المسلمين تنظيم الحكم وإقامة الدولة.

فوجود رئيس للمجتمع ضروري لبقائه ونظامه، ولأنه يستطيع أن يحمل الناس على طاعة النظام وعدم الخروج

عليه فيجنبهم حياة الفوضى والاضطراب والهرج والمرج .

**★ مقومات نظام الحكم في الإسلام:**

وجود الخليفة - قاعدة الشورى - الخضوع لسلطان الإسلام (سيادة الشريعة الإسلامية) .

**★ الخليفة - من يتولى إمرة المسلمين (الإمام):**

ونصب الخليفة الذي يتولى الحكم وإدارة شئون الناس من فرائض الإسلام التي دل عليها الكتاب والسنة والإجماع وطبيعة أحكام الشريعة الإسلامية حيث تحتاج في تنفيذها إلى قوة وسلطان كأحكام الجهاد وإقامة الحدود والعقوبات .

**★ من يملك حق انتخاب الخليفة:**

الأمة هي التي تملك حق نصب الخليفة فهي التي تختار الإمام لينوب عنها في مباشرة سلطاتها لتنفيذ ما هي مكلفة بتنفيذه شرعًا .

**★ كيف تختار الأمة الخليفة:**

عن طريق أهل الحل والعقد وهم الأمراء والحكماء والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة .

**★ شروط الخليفة:**

الإسلام - العقل - البلوغ - الذكورة - العلم (جامعًا للعلوم الشرعية لأنه مكلف بتنفيذها ولا يمكن التنفيذ مع الجهل) العدالة (لا يعرف عنه فسق) متقيًا للَّه ورعًا عارفًا بأمور السياسة وشئون الحكم، جريئًا على تنفيذ وإقامة حدود اللَّه تعالى لا تأخذه في اللَّه لومة لائم ذا دراية بمصالح الأمة وسبل تحقيقها مع حرصه عليها وتقديمه لها.

**★ قاعدة الشورى:**

وهو حق للأمة وواجب على الخليفة، والتفريط فيه سبب لعزل الخليفة. وهذا المبدأ من أهم مقومات نظام الحكم في الإسلام لا غنى لولي الأمر عن المشاورة.

**★ أهمية المشاورة:**

فهي سبيل لمعرفة الرأي الصواب لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأي ومدى فائدته وبعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالبًا ويستفاد من المشاورة بتجارب الآخرين وخبراتهم التي اكتسبوها في سنين طوال وبجهود وتضحيات.

**★ في أي الأمور تجرى المشاورة:**

في شئون الدولة المختلفة وفي الأمور الشرعية الاجتهادية التي لا نص فيها.

**★ أهل الشورى:**

يختلفون باختلاف المشاورة من المسائل التي يحتاج إلى نوع من معرفة وحسن رأي ولطف وإدراك فيشاور أهل الاختصاص والمعرفة.

**★ حق الأفراد في إبداء آرائهم:**

قيام الخليفة بمشاورة أهل الحل والعقد لا تكون لاغية لحق الأفراد في إبداء آرائهم في شئون الحكم وتصرفات الخليفة، وأساس هذا الحق تكليف الشارع لكل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكن إبداء الرأي يكون له حدود وضوابط.

- أن يكون مقصد صاحبه بذل النصح الخالص للخليفة. لقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة** - قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين**

وعامتهم»[١] .

- أن يكون بيان المسلم لرأيه في تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقه .

- لا يجوز للأفراد إحداث فتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأي إذا لم يأخذوا برأيهم مادام الأمر يحتمل رأيهم ورأي غيرهم .

**★ الخضوع لسلطان الإسلام «سيادة الشريعة الإسلامية» :**

فالأمة مخاطبة بأحكام الشرع مكلفة بتنفيذها ، وأنها تملك السلطة لتنفيذ هذه الأحكام وحمل الناس عليها ولكن سلطان الأمة مقيد - غير مطلق - بالفرض الذي من أجله منحت الأمة هذا السلطان من قبل الشرع فسلطانها مقيد بسلطان اللَّه المطلق الذي له الحاكمية الحقة المطلقة (إن الحكم إلا للَّه) وإرادته الشرعية المتمثلة في شرعه فسلطان الأمة سلطان تنفيذ لشرع اللَّه تعالى .

---

(١) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة .

◘ وسلطان الخليفة مقيد - غير مطلق - حيث إنه نائب عن الأمة في تنفيذ الأحكام.

**★ ما يترتب على تقييد سلطان الأمة والخليفة:**

لا يملك واحد منهما الخروج على هذا السلطان أبدًا، فلا يجوز لأحدهما ولا لكليهما وإن كان برضى منهما تغيير شرع اللَّه أو اتباع غيره لأن الاتفاق على الباطل لا يقلبه حقًّا ولا يعطي المتفقين عليه تبريرًا شرعيًّا لعملهم الباطل.

**★ الجدية والمساواة في تنفيذ شرع الله تعالى:**

فالأمة كلها لا تملك تعطيل القانون بالنسبة لأي فرد ولا يجوز لها السعي في هذا المجال المحرم بالشفاعة السيئة أو بغيرها.

**★ مقاصد الحكم في الإسلام «واجبات الإمام»:**

الحكم وسيلة لا غاية - ومقاصد الحكم في الإسلام حراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين.

**★ حراسة الدين بحفظه وتنفيذه:**

**◁ حفظ الدين:**

إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها

الرسول ﷺ وسار عليها الصحابة الكرام ونقلوها إلى الناس من بعده. ومن لوازم حفظ الدين تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر الأعداء بغتة ينتهكون فيها محرمًا ويسفكون فيها لمسلم أو معاهد دمًا لأن استيلاء الكفرة على دار الإسلام ضياع للإسلام وطمس لحقائقه وفتنة عظيمة للمسلمين وزعزعة لعقائدهم بسبب حكم الكفرة لهم وما يبذلونه لصرف المسلمين عن دينهم الحق بالوعد والوعيد والتلبيس والخداع والتضليل.

**تنفيذه:**

- تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم وفي علاقاتهم مع الدولة وفي علاقة الدولة مع غيرها من الدول.
- حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية.
- إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي بهذا الإسلام. ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**

وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾

(سورة الحج: ٤١)

▹ **سياسة الدنيا بالدين:**

فأمور الدنيا محكومة بالدين.

▹ **مظاهر سياسة الدنيا بالدين:**

- إقامة العدل بين الناس - حيث يقتضي العدل إعطاء كل إنسان حقه وعدم ظلمه في شيء.

- إشاعة الأمن والاستقرار حيث يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وينتقلون في دار الإسلام آمنين مطمئنين وهذا يكون بتطبيق العقوبات الشرعية على العابثين في الأمن المعتدين على الناس بشرط أن يكون التطبيق عادلاً وعلى الجميع بلا محاباة ولا تردد.

- تهيئة ما يحتاجه الناس: فالدولة مطلوب منها تهيئة ما يحتاجه الناس من مختلف الصناعات والحرف والعلوم وهي من فروض الكفاية.

- استثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية الرفاة الاقتصادي والعيش الكريم.

**★ ومن المقاصد الفرعية للحكم في الإسلام «من واجبات الإمام»:**

- استيفاء الحقوق المالية وصرفها في مصارفها الشرعية
- اختيار الأكفاء للمناصب القيادية ومحاسبتهم .
- الرفق بالرعية والنصح لهم وعدم تتبع عوراتهم .
- أن يكون قدوة حسنه لرعيته .
- الإشراف بنفسه علىٰ تدبير الأمور وتفقد أحوال الرعية .

**★ حقوق الحاكم في الدولة الإسلامية:**

فالحاكم في الدولة الإسلامية له حقوق علىٰ رعيته ، من شأنها أن تمكنه من تنفيذ أحكام الإسلام وتشريعاته بشرط أن يكون قائمًا بأمر اللَّه منفذًا لحكم الشرع راعيًا لأماناته وعهده .

**★ الطاعة والانقياد للإمام:** وطاعة الأئمة من طاعتهم للَّه ورسوله ومن قيامهم علىٰ شريعة اللَّه ، وليس لهم طاعة فيما وراءها لأن الطاعة لهم مستمدة من الأصل وهي طاعة اللَّه ورسوله وليست هي بذاتها أصلاً .

★ **حق النصرة:** لأن الإمام في منصبه العظيم الذي وكلته الأمة القيام به من تنفيذ شرع الله وحراسة البلاد والعباد والقيام بأمر الدعوة إلى الله ونشرها وغير ذلك يحتاج إلى تأييد الأمة وأن تكون بجانبه لإعانته على تأمين سلامة البلاد وتحقيق النصر على كل من يعتدي عليها.

★ **المناصحة:** فيجب توجيه النصح إلى ولي الأمر في كشف الأخطاء والانحرافات حتى يتمكن من علاجها قبل أن تستفحل وتلحق الضرر بالمصلحة العامة، وعلى الأمة القيام بنصيحة الولاة سواء طلبها أو لا، فنصح الإمام فرض واجب وأمر لازم لا يتم الإيمان إلا به ولا يثبت الإسلام إلا عليه.

★ **عدم الخروج عليه:** فرئيس الدولة يلتزم في نهجه الحكم بالكتاب والسنة وما هو مقرر فيها من مبادئ وقواعد للحكم، إذ هو مكلف برعاية أمور الأمة وتدبير شئونها بما يوافق الشرع. ومادام الإمام أو الحاكم قائمًا بواجباته الملقاة على عاتقه عادلاً بين رعيته فإنه لا يجوز الخروج عليه.

وعدم الخروج على الإمام مقيد بما إذا كان الإمام ملتزمًا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وكان آمرًا بالشرع.

★ **حق المال:** فتدفع الحقوق المالية إليه لأن الدولة تحتاج إلى كثير من الأموال لأداء الأعمال المشروعة فواجب على الناس أن يتجاوبوا معه .

★ **حقوق الأفراد في الأمة الإسلامية:**

★ **حق الحياة:** فلا يجوز للدولة أن تعتدي على حياة أي شخص إلا إذا ارتكب جرمًا يؤاخذ عليه الشرع ويعاقب عليه القانون الإسلامي - فالإسلام حرم الاعتداء على الأنفس إلا بمسوغ شرعي .

★ **حرية الدين والاعتقاد:** فالدولة الإسلامية ملتزمة بعقيدة تعد الأساس لقيام الدولة والمجتمع والواجب على الدولة الإسلامية المحافظة على عقيدة الأفراد المسلمين من أي خلخلة أو بلبلة فلا يسمح لهم بالتمرد على أحكام الشريعة التي هي الإطار الذي يحكم المجتمع الإسلامي .

كما أنها لا تجبر أحداً على الدخول في الإسلام من يهود أو نصارى طالما يعيشون تحت ظل الحكم الإسلامي .

والدولة تقوم بردع كل من يحاول التشكيك أو إثارة الشبهات في عقيدة الإسلام ونظامه .

★ **حرية العمل.**

★ **حرية النقد والحرية السياسية:** فالإسلام أعطى الحق للمسلم في إبداء رأيه في الشئون العامة وتصرفات الحكام، فالأمة وكلت الحاكم ليقوم مقامها في تنفيذ الأحكام الشرعية وسياسة الدنيا والأصل في المجتمع الإسلامي أنه جسد واحد والإسلام يوجب على الأفراد محاسبة السلطة ونصحها.

**الحرية الشخصية:** كحرية التنقل - حق الأمن وحرمة المسكن مصونة بالإسلام.

❑ ❑ ❑

## □ نظام الجهاد في الإسلام □

**الجهاد:** بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة اللَّه تعالىٰ .

**★ أهمية الجهاد وغايته:**

**★ الهدف الأساسي للجهاد:** هو تعبيد الناس للَّه وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلىٰ العبودية لرب العباد وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا وإجلاء العالم من الفساد لكي يستمد الناس منهج حياتهم من منهج ربهم .

**★ وسائل تحقيق هذه الغاية:**

● رد اعتداء المعتدين علىٰ المسلمين .

● إزالة الفتن عن الناس حتىٰ يستمعوا إلىٰ دلائل التوحيد من غير عائق وحتىٰ يروا نظام الإسلام مطبقًا ليعرفوا ما فيه من عدل وإصلاح البشر وما فيه من سمو في شتىٰ المجالات .

● حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار .

● إرهاب الكفار وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم.

★ **هذه الفتن تتمثل في:**

● ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم.

● الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من فساد في شتى مجالات الحياة فإن هذه من شأنها أن تفتن المسلم عن دينه وتقيم حاجزاً بين الناس بصفة عامة وبين الاستماع إلى الحق أو قبوله بتخريبها لفطر الناس بما تشرعه لهم من مناهج في شتى مجالات الحياة.

★ **أنواع الجهاد:**

● الجهاد باللسان ببيان شرائع الإسلام ودحض الأباطيل المفتراة على الإسلام.

● الجهاد بالمال بإنفاقه في وجوه البر خاصة على الغزاة والمقاتلين في سبيل اللَّه بشراء العتاد والسلاح والأرزاق لهم.

● الجهاد بالنفس بمقاتلة أعداء اللَّه تعالى ـ وهذا الجهاد

من فروض الكفاية في الأحوال الاعتيادية إذا حصلت الكفاية .

● ويصير من فروض الأعيان إذا احتل الكفرة بلداً من بلاد الإسلام أو إذا استنفر الإمام المسلمين .

● والجهاد ضروري لبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجانب بعيدة عن أطماع الطامعين والحاقدين من الكافرين والمنافقين كما أن الجهاد بنفسه دليل قاطع على إيمان المسلم ومبادرته إلى ما يحبه اللّه ويرضاه وإيثار مرضاته وما عنده سبحانه .

وترك الجهاد سبب للمذلة والهوان وضياع الديار وتسلط الكفرة على بلاد الإسلام : ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
(سورة التوبة : ٣٩)

ولعظيم أثر الجهاد ودلالته على الإيمان قال الفقهاء : المقام في ثغور المسلمين أفضل من المجاورة في المساجد الثلاث لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن يكون من جنس الحج :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾

(سورة التوبة: ١٩)

ونفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ويشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة مثل: محبة اللَّه والإخلاص له والصبر والزهد وأن القائم به بين إحدى الحسنيين دائمًا إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة.

والمسلم لا ينفك عن الجهاد في سبيل اللَّه أبدًا فهو في جهاد دائم يجاهد نفسه ليحملها على الطاعة وعلى بذل المال والنفس في سبيل مرضاة اللَّه ويجاهد بلسانه وقلمه ليبين معاني الإسلام ويرد على افتراءات المبطلين ويجاهد في جميع أحواله في الرخاء والشدة وفي حالة الضعف والقوة والغنى والفقر.

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٤١).

❑ ❑ ❑

## ◘ نظام الحسبة في الإسلام ◘

**الحسبة:** أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله - وهي من الأصول العظيمة في الإسلام «**الدين النصيحة**»[١] . «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[٢] .

**المحتسب:** وهو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وكل مسلم مكلف بالحسبة .

**المحتسب عليه:** هو كل إنسان يباشر أي فعل يجوز - أو يجب - فيه الاحتساب .

**★ شروط المنكر محل الاحتساب:**

● أن يكون ظاهراً .

---

(١) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة .

(٢) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان النهي عن المنكر من الإيمان .

- أن يكون قائمًا في الحال .
- عدم الخلاف فيه .

**موضوع الاحتساب:** الاعتقادات ـ العبادات ـ المعاملات ـ فيما يتعلق بالطرق والدروب ـ فيما يتعلق بالحرف والصناعات ـ فيما يتعلق بالأخلاق والفضيلة .

**★ مراتب الاحتساب:**

**▹ باليد:**

أي تغييره فعلاً ولو باستعمال القوة واستعمال السلاح والاستعانة بالأعوان كما في دفع الصائل لتخليص النفس البريئة من الموت وتخليص العرض المصون من الهتك ويدخل نطاق التغيير باليد ضرب المحتسب عليه أو حبسه أو دفعه لمنعه من مباشرة المنكر .

**▹ الاحتساب بالقول:**

- بتعريف المحتسب عليه بالحكم الشرعي لفعله أو تركه حيث أنه قد يكون جاهلاً .
- الوعظ والنصح والإرشاد والتخويف من اللّه تعالىٰ .
- التقريع والتعنيف بالقول الغليظ .

• التهديد والتخويف بإنزال الأذىٰ به من قبل المحتسب وينبغي أن يكون ذلك مما يقدر عليه المحتسب فعلاً وبما هو غير ممنوع شرعًا .

**◁ الاحتساب بالقلب:**

وهو إذا عجز عن المرتبتين السابقتين، وهذه المرتبة لا يجوز أن يخلو منها أي مسلم يسمع بمنكر أو يراه إذ لا ضرر فيه ثم يتبع ذلك بالاحتساب بالقول أو الفعل .

والاحتساب باليد واللسان يجب بالقدرة علىٰ هذا النوع من الاحتساب بشرط أن يأمن المحتسب علىٰ نفسه من الأذىٰ والضرر كما يأمن علىٰ غيره من المسلمين من الأذىٰ والضرر .

❑ ❑ ❑

## نظام الجريمة والعقاب

نظام الجريمة والعقوبة نظام عادل قام على أسس متينة وإحاطة تامة بما يصلح له أمر الناس وبمراعاة غرائز الناس بما يؤدي إلى قمع أو تقليل الإجرام فيهم مع عدالة تامة في تقدير العقوبة وجعلها بقدر الجريمة وفي تطبيق العقوبة على الجميع .

**والجريمة:** محظور شرعي زجر الله عنه بحد أو تعزير .

**★ شروط إطلاق لفظ الجريمة على الفعل:**

● أن يكون من المحظورات الشرعية أي مما نهى عنه الشرع الإسلامي نهي تحريم لا نهي كراهة .

● أن يكون تحريم الفعل أو الترك من قبل الشريعة الإسلامية .

● أن يكون للمحظور عقوبة من قبل الشرع الإسلامي سواء كانت عقوبة مقدرة أو غير مقدرة .

★ **أنواع الجرائم والعقوبات:**

▹ **جرائم الحدود وعقوباتها:**

الزنا - القذف - شرب الخمر - السرقة - الحرابة (قطع الطريق) - الردة - .

**عقوبة الزنا:** الرجم (الضرب بالحجارة حتى الموت) للمحصن - جلد مائة وتغريب عام للبكر .

**عقوبة القذف:** ثمانون جلدة . - عقوبة السرقة : قطع اليد . - عقوبة شرب الخمر : أربعون جلدة . - عقوبة الحرابة : (القتل أو الصلب أو تقطيع اليد والرجل من خلاف أو النفي) حسب ما يراه الإمام . - عقوبة الردة : القتل .

▹ **جرائم القصاص والديَّات:**

(الجنايات على النفس - أو ما دون النفس) وهي جرائم القتل والجروح وقطع الأطراف . العقوبة لهذه الجرائم القصاص إذا توافرت شروطه أو الدية إذا كانت الجريمة غير عمد (خطأ)، عن عمد ولم تتوفر فيه الشروط - وتجب الكفارة في جرائم القتل الخطأ وشبه العمد (وهي عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) .

**◁ جرائم التعزير:**

وهي تأديب على معصية لم تشرع فيها عقوبة مقدرة. ومرجع تقدير هذه العقوبة التعزيرية للإمام حسب ما يرى تحقيق المصلحة ويكون التعزير بكل ما فيه إيلام من قول أو فعل.

**◁ العقوبة:**

**◁ الجزاء في الشريعة الإسلامية أخروي ودنيوي:**

**أهمية العقوبة الدنيوية:** لاستقرار المجتمع وتنظيم علاقات الأفراد على نحو واضح وضمان حقوقهم وهو غير مانع للعقاب الأخروي.

**◁ تشريع العقاب رحمة من الله بعباده:**

لأنه يزجر الإنسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الإثم، وإذا وقع في الجريمة فإن العقوبة في حقه بمثابة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه وبمنزلة قطع العضو المتآكل. ففي هذا الكي والقطع مصلحة له وإبقاء لحياته، وكذلك مصلحة مؤكدة للمجتمع لما يترتب عليه من اطمئنان الناس على حياتهم وأموالهم وإخافة للمجرمين، وهذه المصلحة

العامة يهون معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ما جنت يده.

▹ **الحزم في إقامة العقوبات الشرعية:**

فالعقوبات الشرعية واجبة التطبيق والتنفيذ لا يسع ولي الأمر التهاون فيها ولا تعطيلها لأنها من شرع اللّه تعالىٰ، وإن تعطيلها يؤدي إلىٰ سخط اللّه تعالىٰ كما يؤدي إلىٰ فساد المجتمع واضطراب أحواله وسوء أوضاعه.

★ **المساواة في إقامة العقوبات الشرعية وحرمة تعطيلها:**

وهذه العقوبات الشرعية تطبق علىٰ جميع من قامت فيهم أسبابها وشروطها لا فرق بين شريف ووضيع وقوي وضعيف وغني وفقير، فإن المحاباة في إنزال العقوبات الشرعية سبب لهلاك الأمة. والعقوبات الشرعية مبناها علىٰ العدل حيث العقوبة بقدر الجريمة - وكذا علىٰ الردع -.

★ **الجزاء في الإسلام:**

تأثير الجزاء الأخروي أعظم من تأثير الجزاء الدنيوي فالمؤمن يحس بوازع نفسي قوي بضرورة العمل بأحكام

الدين واتباع أوامره ونواهيه والجزاء الأخروي يجعل الإنسان يعتقد أنه لن يفلت من العقاب - فإذا أفلت منه في الحياة الدنيا فلن يفلت منه في الآخرة.

والشريعة الإسلامية لم تهمل العقوبة الدنيوية.

❑ ❑ ❑

## ◘ نظام الإفتاء ◘

**★ حاجة المجتمع الإسلامي إلى الإفتاء:**

إن أمور الناس إذا جرت على شريعة اللَّه ففي ذلك تحصيل الخير كل الخير لهم في أمور معاشهم ومعادهم.

ولهذا أمر اللَّه تعالى أهل العلم بتبليغ أحكام الإسلام للناس وتعليمهم حدود ما أنزل اللَّه، كما أمر سبحانه وتعالى من لا يعلم أن يتعلم ومن سبل التعلم أن يسأل أهل العلم.

**★ حكم الإفتاء ومنزلته والحاجة إليه:**

فقد أوجب اللَّه تعالى على رسوله ﷺ تبليغ شرعه وأوجب على أهل العلم أن يبينوا ما عندهم من العلم ويعلموه الناس، ولكن يشترط للوجوب أمور:

- أن يكون المفتي عالمًا بالحكم متمكنًا من تحصيل العلم به.
- أن تكون المسألة قد وقعت، فإن لم تكن وقعت وكان الحكم ثابتًا بنص أو إجماع أو قياس جلي وجب بيان الحكم حينئذ إذا كان الجواب ذا نفع للسائل.

● أن لا يخاف المفتي غائلة الفتيا، فإن خاف من ترتب شر أكثر من الإمساك عنها أمسك عنها لأن المفسدة لا يصح أن تزال بمفسدة أعظم منها.

● أن لا يعلم من صراحة اللفظ أو قرائن الحال أن المستفتي يريد اتخاذ الفتيا حجة له على باطله بتحريفها أو إظهار العمل بها مع إبطان التوصل بها إلى ما حرم اللّٰه تعالىٰ.

**★ المطلوب من المسلم:**

أن تكون أفعاله وأقواله ابتداء وفق المناهج الإسلامية وأن يتقبل حكم الشرع في نتائج أفعاله وأن يتصرف على النحو المشروع في علاقاته مع الآخرين، فإن جهل ذلك أو بعضه وجب عليه أن يعرفه ليكون سلوكه وفق الحدود الشرعية فينبغي على الجاهل أن يسأل أهل العلم عما يجهله من أمور الدين.

**من هو المستفتي؟:** هو من يسأل عن حكم الشرع في مسألة ما ليعمل بما يفتيه به المفتي مقلداً له بهذه الفتوىٰ.

**★ المستفتي يسأل الصالح للإفتاء:**

فعليه أن يستفتي من توافرت فيه الصلاحية للإفتاء لأن استفتاءه يتعلق بالدين فعليه أن يحتاط لدينه فيسأل من هو

أهل للإفتاء وهو العالم الكفء الورع الذي يعمل بما يعلم.

**من هو المفتي؟:** هو من يقوم بالإفتاء. والإفتاء: إخبار عن حكم اللَّه تعالىٰ.

▷ **شروط المفتي: «الإسلام ـ البلوغ ـ العقل».**

**العدالة:** ومن مقتضيات العدالة ولوازمها فعل المطلوب شرعًا وترك المنهي عنه شرعًا وهجر ما يخرم المروءة ويوقع في التهم والشكوك وأن تكون أخلاق صاحبها وسلوكه علىٰ النحو اللائق بعلماء الإسلام.

**الاجتهاد:** أن يكون فقيهًا مجتهدًا.

ويشترط أن يكون علىٰ قدر من اليقظة وجودة الذهن والمعرفة بالناس ومكرهم وخداعهم حتىٰ لا يقع في هذا الخداع وذلك المكر، وأن يكون صلبًا في دينه لا تأخذه في الحق لومة لائم، وأن لا يتأثر بوعد أو وعيد، وأن يكون علىٰ قدر كبير من الورع والزهد ومخافة اللَّه تعالىٰ.

**من له حق الإفتاء:** كل من كان أهلاً لأن يكون مفتيًا كان أهلاً أن يفتي سواء عين مفتيًا أو لم يعين.

❑ ❑ ❑

## الخاتمة

وبعد هذا الاستعراض لماهية الإسلام وأركانه وخصائصه وأنظمته لابد أن نعلم أن العمل للإسلام لإيجاد الشخصية التي تمثله عقيدة وخلقًا والمجتمع الذي يلتزمه فكراً وسلوكًا واجب شرعي لأن ذلك هو مناط تكليف اللّه للبشر.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة المائدة: ٦٧).

وقال النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[1]. ولاشك أن تعطيل الشريعة الإسلامية وتعطيل تطبيقها وهيمنة التشريعات الوضعية يفرض على المسلمين العمل لاستئناف الحياة الإسلامية وتعبيد الناس للّه في كل أمور حياتهم.

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا

(١) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان.

يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

(سورة النساء: ٦٥)

والعمل للإسلام واجب وضرورة حيث أن انتمائي للإسلام يفرض عليَّ العمل له - وهذا لا يتم إلا إذا أدركنا الغاية من الحياة.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات: ٥٦)

ولابد من إدراك حقيقة الإسلام بمعرفة أصوله وأحكامه وحلاله وحرامه، فلابد أن أعيش للإسلام وأن أعيش بالإسلام - أن أعيش بالإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقًا -.

**★ وختامًا:**

فالإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا. والقرآن والسنة المطهرة مرجع لكل مسلم في تعرف أحكام الإسلام ومعرفة اللَّه تعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام والعقيدة هي أساس العمل، وعمل القلوب أهم من عمل الجوارح، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعًا، والمسلم يقصد بقوله وعمله وجهاده وجه اللَّه تعالى

وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلىٰ مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٢-١٦٣)

والمسلم يعمل وهو يعلم يقينًا أن اللَّه مُطَّلع علىٰ أعماله : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة التوبة : ١٠٥)

والمسلم يديم المراقبة للَّه تعالىٰ ويتذكر دومًا الآخرة ويستعد لها ، ويقطع مراحل السلوك إلىٰ رضوان اللَّه بهمَّة وعزيمة ، ويتقرب إلىٰ ربه سبحانه بالنوافل ويجدد دومًا التوبة لربه سبحانه .

فكن أيها المسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (سورة الصف : ١٤) .

واعلم أن الاعتصام بالله هو سبيل النجاة: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٠١) .

**★ فما هو المطلوب؟:**

أن ندخل في الاستسلام والانقياد لله تعالىٰ، وأن ندخل في طاعته ولا نخرج عن شيء من شريعته وإلا كنا من أتباع الشيطان. ولنعلم أن عزة المسلم تكمن في توطيد وتوثيق العلاقة التي بيننا وبين الله تعالىٰ عندما نطبق هذا الإسلام في حياتنا وفي عباداتنا. عندما أكون مسلمًا في عقيدتي، مسلمًا في عبادتي، مسلمًا في معاملاتي، مسلمًا في أخلاقياتي وسلوكي، أن أعيش للإسلام وأعيش بالإسلام.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾

(سورة الأنعام: ١٢٥)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩) .

النتيجة من التزام العبد لدين الله سبحانه تحرير النفس البشرية من عوامل الضعف والخوف والفقر والذل والعبودية لغير الله تعالىٰ، وتحرير النفس البشرية من كل ما يؤثر علىٰ استقامتها وطهارتها وقوتها المعنوية. فالإسلام قد اعتنىٰ

بتحرير النفس البشرية من كل ما يعيق سيرها إلىٰ خالقها وبارئها سبحانه، فحرر النفس من العبودية لغير اللّٰه تعالىٰ، وحرر النفس من الخوف من غير اللّٰه تعالىٰ، وحرر النفس من تقديس المادة ومن سلطان الشهوة، وحرر النفس من تسلط الهوىٰ.

ومتىٰ تحررت النفس مما يعيق سيرها إلىٰ ربها انطلق الإنسان عاملاً في ميدان الحياة جاداً قويًا وهاديًا مهديًا وعزيزًا كريمًا يستمد قوته وهدايته وعزته وكرامته من خالق السموات والأرض فلا يخضع لمخلوق - أيًا كان - بغير حق، ولا يستذله الخوف من أحد دون اللّٰه، ولا تستذله الشهوات بالباطل فيُخرج حظ الشيطان من نفسه بل يُخرج حظ نفسه من نفسه فإن النفس لأمارة بالسوء، وبذلك يكون المجتمع الإسلامي الفاضل قويًا مترابطًا. قال سبحانه:

**﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** (سورة المائدة: ١٥-١٦).

وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين.



## المراجع


١ـ أصول الدعوة — د. عبد الكريم زيدان

٢ـ هل المسلمون اليوم مسلمون حقًا — أبوبكر الجزائري

٣ـ الإسلام والحضارة الغربية — د. محمد محمد حسين

٤ـ مناظرة بين الإسلام والنصرانية — بين مجموعة من رجال الفكر الإسلامي والنصراني

٥ـ الموافقات في أصول الشريعة — لأبي إسحاق الشاطبي

٦ـ خصائص الشريعة الإسلامية — د. عمر سليمان الأشقر

٧ـ الحكمة والموعظة الحسنة — د. أحمد بن نافع بن سليمان

٨ـ الأخلاق الإسلامية — عبد الرحمن حبنكة

٩ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام — ابن عاشور

١٠ـ الاقتصاد الإسلامي — د. علي السالوس

١١ـ دعوة الإسلام — السيد سابق

١٢ـ الشباب المسلم في مواجهة التحديات — عبد اللّه ناصح علوان

١٣ـ نظام الحكم في الإسلام — د. عارف خليل أبو عيد

١٤- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عمر الدميجي
١٥- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية علي بن نفيع العلياني
١٦- الفتيا ومناهج الإفتاء د. محمد سليمان الأشقر
١٧- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك جلال الدين السيوطي
١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني
١٩- صحيح مسلم بشرح النووي الإمام النووي
٢٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود محمد شمس الحق الآبادي
٢١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري
٢٢- سنن ابن ماجة
٢٣- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي
٢٤- مفتاح دار السعادة ابن القيم

❑ ❑ ❑

# فهرست الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

❑ ❑ ❑